

السينما الجزائرية والذاكرة: من كتابة التاريخ إلى تخييل الواقع
Algerian Cinema and Memory: From Writing History to Imagining Reality

حراق بن بريك²

سنوسي شريط¹

1. جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر Senouci.chereit@univ-mascara.dz

2. جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر harak.benberik@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2025/12/15

تاريخ القبول: 2025/11/10

تاريخ الاستلام: 2025/08/26

ملخص:

تهدف هذه المقالة العلمية إلى الانفتاح على عالم السينما الجزائرية بعد مسيرة طويلة تمتد لأكثر من 40 سنة، حققت من خلالها تراكمًا سينمائيًا كبيرًا، متعددًا ومختلفًا من حيث طبيعة الأفلام التي أنجزت، ومن حيث المضامين والقيم التي تناولتها هذه الأفلام. وهذا بغية التطرق إلى علاقة السينما الجزائرية بالذاكرة، باعتبار هذه الأخيرة تعدّ خزانًا فكريًا ومعرفيًا وإبداعيًا الذي يحتوي على مجمل الأحداث والوقائع والمواقف المرتبطة بالمجتمع الجزائري، والتي سمحت للسينمائي أن يغرف منها موضوعاته، مثل: الثورة التحريرية، العشرية السوداء، الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية خلال فترات السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات إلى مطلع الألفية الثالثة..)، من خلال تتبع طبيعة الأفلام التي تمّ تجسيدها على مرّ الحقب الزمنية المختلفة لحد الآن. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لمعرفة حدود التعامل بين كتابة التاريخ (أي إعداد سيناريو الفيلم وتجسيده سينمائيًا) القائم على الاسترجاع والتذكر للحقائق والوقائع ذات السند المرجعي، وتجسيدها عبر الكاميرا بالصوت والصورة، وبين الكتابة التخيلية للواقع الجزائري القائمة على عنصر الإبداع بالاعتماد على التخيل. انطلاقًا من هذا التصور المعرفي، جاءت هذه المقالة العلمية لتفتح ورشًا جديدًا لثنائية "السينما الجزائرية/الذاكرة"، من أجل سبر أغوار هذه العلاقة المتميزة التي شكّلت منعطفًا بارزًا في مسيرة السينما الجزائرية عبر الأفلام المنجزة من قِبَل السينمائيين، والتي شكّلت تراكمًا إبداعيًا متميزًا على مستوى الساحة السينمائية العالمية والعربية والمغاربية.

كلمات مفتاحية: السينما-الذاكرة-التخيل-الصورة-الاسترجاع-الإبداع-الكاميرا-الجماليات-الفن-الكتابة.

الإيميل Senouci.chereit@univ-mascara.dz

* المؤلف المرسل: سنوسي شريط

Abstract:

This research paper aims to open up to the world of Algerian cinema after a long journey spanning more than 40 years, during which it achieved a large, diverse and different cinematic accumulation in terms of the nature of the films that were produced. The aim is to address the relationship of this cinema to memory (such as the liberation revolution, the black decade, the political, social, economic and cultural circumstances during the seventies, eighties and nineties until the beginning of the third millennium,), by tracing the nature of the films that have been embodied throughout the different time periods until now. This is on the one hand, and on the other hand to know the limits of dealing between writing memory based on retrieving and remembering facts and events with a reference basis and embodying them cinematically through the camera with sound and image, and between the fictional writing of Algerian reality based on the element of imaginative creativity and the aesthetics of cinematic art. Based on this cognitive concept, this scientific paper came to open new workshops for the duality of Algerian cinema and memory, in order to explore the depths of this distinguished relationship that constituted a prominent turning point in the journey of cinema through the films produced by filmmakers, which constituted a distinguished cinematic creative accumulation at the level of the international and Arab cinematic arena.

Keywords: Cinema - Memory - Imagination - Image - Retrieval - Creativity - Camera - Aesthetics - Art - Writing.

الإيميل

* المؤلف المرسل:

1. استهلال:

شهدت/تشهد السينما الجزائرية تراكماً سينمائياً متعددًا ومختلفاً من حيث طبيعة الأفلام التي تنوّعت ما بين أفلام ثورية مستمدة من ذاكرة وتاريخ الجزائر، منها: (الثورة التحريرية)، وبعضها الآخر من حقبة زمنية مختلفة تعود لفترات السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات التي تميّزت بتحوّلات عديدة، خاصة على المستوى السياسي والاجتماعي، أبرزها:

- 1- حصول الجزائر على استقلالها (05 جويلية 1962) بعد استعمار فرنسي دام مدة 132 سنة (1830-1962).
 - 2- الخيار الاشتراكي الذي تبنته الدولة الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة برئاسة "أحمد بن بلة".
 - 3- الانقلاب العسكري الذي قام به الرئيس الراحل "هواري بومدين" (كان وزير الدفاع الوطني آنذاك) على الرئيس الراحل "أحمد بن بلة" سنة 1965.
 - 4- أحداث 05 أكتوبر 1988 التي قام بها أفراد الشعب الجزائري ضد حزب "جبهة التحرير الوطني"، "الحزب الجهاز" كما كان يُسمّى آنذاك.
 - 5- إقرار التعددية الحزبية وتنظيم انتخابات تشريعية سنة 1991.
 - 6- فوز حزب جبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات التشريعية 1991.
 - 7- استقالة الرئيس الراحل "الشاذلي بن جديد" بعد فوز حزب "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" وبأغلبية الأصوات في هذه الانتخابات.
 - 8- توقيف المسار الانتخابي بعد فوز جبهة الإنقاذ.
 - 9- نشوب حرب أهلية في الجزائر دامت (10) سنوات سميت بالعيشية السوداء وأحياناً العشرية الحمراء، وسنوات الأزمة أو سنوات المحنة (1990-1999).... وغيرها من الأحداث والمواقف المتعلقة بالشأن السياسي والاجتماعي والثقافي في الجزائر.
- وبين أفلام أخرى مستمدة من الواقع الجزائري خلال الألفية الثالثة، تباينت بين أفلام واقعية، وأفلام رومانسية، وأفلام خيالية، وأفلام اجتماعية، وأفلام تاريخية "ثورية" جديدة بمنظور معاصر من حيث زوايا النظر إلى الثورة التحريرية باعتبارها تيمة أساسية. وأيضاً لغرض التطرق إلى شخصيات ثورية لم يتم تجسيدها سينمائياً من قبل. على غرار: العقيد لطفى، العقيد عميروش، سي الحواس، جميلة بوحيرد، حسيبة بن بوعلي، علي عمّار (المدعو علي لابوانت).... وغيرها من الأسماء التي تركت بصماتها في النضال ضد الاستعمار الفرنسي.
- اتسمت طبيعة تجسيد هذه الأفلام بالانكفاء على عنصر "التخييل" la fiction باعتباره "بناء تصويرياً" (جبار، س، 2013: ص72). يمنح للسينمائي إمكانية تشكيل قصة وأحداث غير حقيقية، بل هي متخيّلة بشخصياتها

وأزمنتها وأمكنتها وفضاءاتها المختلفة والمتعددة، وأيضاً بوصفه "كوناً مصطنعاً ينطوي على حكاية وخطاب وسرد، ينصرف الى محاكاة الواقع، أو مشاكله الحقيقية بتعبير رولان بارت" (بن مالك، س م، 2013: ص 09).

لقد نتج عن هذا الاشتغال الثنائي (الذاكرة/والتخييل) بروز أفلام سينمائية عديدة بثيمات جديدة، وأساليب سينمائية معاصرة بتقنيات فنية وجمالية مغايرة لما كان سابقاً. هذا التميز جعلها تحقق مكانة هامة على المستوى العالمي والعربي، والدليل على ذلك حصول فيلم (وقائع سنوات الجمر) 1974 للمخرج الجزائري "محمد لخضر حامين" على جائزة (السعفة الذهبية) في مهرجان "كان" السينمائي بفرنسا سنة 1975. هذا التتويج يعبر عن مكانة السينما الجزائرية التي احتلتها على المستوى العالمي نظير العمل الدؤوب الذي بذله العديد من السينمائيين من أجل الوصول الى انتاج أفلام سينمائية هادفة وممتعة، تعبر عن واقع المجتمع الجزائري بمختلف فئاته. في هذا السياق يقول الناقد السوري "جان الكسان" في دراسته الموسومة ب: (السينما في الوطن العربي): (أما في الجزائر فقد ولدت السينما ولادة سليمة وسارت بخطوات تطويرية مدروسة، وبهذا استطاعت أن تخرج بالسينما العربية إلى المستوى العالمي وأن تُقدّم أفلاماً ممتازةً على الرغم من أن ولادتها كانت صعبة إذ أنها ولدت في قلب الإعمار في قلب معركة التحرير" (الكسان، ج، 1982: ص 216).

لقد أسهم تتويج السينما الجزائرية في مهرجان "كان" السينمائي في الدفع بمضاعفة جهود السينمائيين الجزائريين من أجل تطوير ورقي السينما الجزائرية، من خلال إنتاج أفلام سينمائية ممتعة وراقية جداً. يمكننا ذكر بعض هذه النماذج الفيلمية التي أنتجت في فترات مختلفة، منها: (الأفيون والعصا) 1970 للمخرج أحمد راشدي (المقتبس عن رواية "الأفيون والعصا" للروائي مولود معمري)، وفيلم (دورية نحو الشرق) 1972 للمخرج عمار العسكري، وفيلم (ريح الجنوب) 1975 للمخرج محمد سليم رياض (المقتبس عن رواية "ريح الجنوب" للروائي عبد الحميد بن هدوقة)، وفيلم (زبانة) 1975 للمخرج نور الدين عناني، وفيلم (عمر قتلاتو) 1976 للمخرج مرزاق علوش، وفيلم (مصطفى بن بولعيد) 2008 للمخرج أحمد راشدي، ، وفيلم (الخارجون عن القانون) 2010 للمخرج رشيد بوشارب، وفيلم (باب الواد سيتي) 1994 للمخرج مرزاق علوش، وفيلم (بركات) 2006 لجميلة صحراوي،.... وغيرها من الأفلام السينمائية التي أرادت ملامسة الواقع الجزائري بكل تمظهراته السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية....

بناء على هذا التصور المعرفي لعلاقة السينما الجزائرية بالذاكرة. سنحاول الإجابة عن بعض التساؤلات الجوهرية في عملية الإبداع السينمائي:

-كيف تجلّت علاقة السينما بالذاكرة؟

-كيف تعامل السينمائي الجزائري بين كتابة التاريخ سينمائياً بالاعتماد على الذاكرة؟ وبين تخييل الواقع فنياً وجمالياً عبر الكاميرا؟

-الى أي مدى استطاع المخرج السينمائي الجزائري أن ينجح في مغامرته الإبداعية بالمزاوجة بين الكتابة التاريخية المستندة الى الحقيقة، وبين الكتابة التخيلية المستندة الى الواقع؟ لكنها تخيلية لأنها لم تقع في الواقع، بل هي من تخييل المخرج.

هذه التساؤلات المشروعة فكرياً ومعرفياً وإبداعياً، سنحاول الإجابة عنها عبر تناولنا لبعض النماذج الفيلمية التي أنتجت عبر فترات زمنية مختلفة ومتباينة، خاصة خلال الألفية الثالثة.

2/الذاكرة باعتبارها أفقاً لإعادة تمثيل الماضي إبداعياً: تعدّ الذاكرة لأي مجتمع من المجتمعات وسيلة أساسية لحفظ تاريخ وتراث أفراد هذه المجتمعات بمختلف فئاتهم ومستوياتهم. حيث أسهمت الذاكرة في إعادة صوغ العديد من القضايا المرتبطة بالمجتمع الجزائري. لعلّ أبرزها الثورة التحريرية المجيدة التي كانت- ولا زالت- تلهم الكثير من الكتاب والشعراء والفنانين والسينمائيين والمسرحيين وحتى الأدباء العرب، وتدفعهم إلى الكتابة الإبداعية أدبياً(قصص، روايات، قصائد شعرية، أغاني)، وسينمائياً ومسرحياً.

لقد أسهمت الذاكرة في إعادة كتابة الثورة التحريرية سينمائياً من خلال إنتاج أفلام جزائرية ترصد عظمة الثورة التحريرية(ثورة 01 نوفمبر 1954) وقدسيتها باعتبارها أعظم ثورة على المستوى العالمي. في هذا الشأن ظهرت عدة أفلام رامت إعادة تمثيل تاريخ الجزائر بالالتكاء على كتب التاريخ، وأيضاً على ما خزنته الذاكرة من أحداث ومعارك ومواقف بطولية للشعب الجزائري. يقول الباحث مراد وزناجي عن علاقة السينما بالتاريخ:(يعتقد بعض مؤرخي الفن السابع أن العلاقة بين السينما والتاريخ متبادلة. فلقد شكّلت السينما ذاكرة سمعية بصرية حقيقية بعدما تمكن عدد من السينمائيين إنجاز أفلام تحاكي حقبة تاريخية سابقة بنفس القدر الذي أسهم فيه التاريخ في تقديم مواضيع كثيرة ومتعددة للفيلم السينمائي"(وزناجي، م:2016: ص116).

هذا ما تناوله العديد من السينمائيين الجزائريين في أفلامهم التي أنتجوها، سواء خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات أو خلال الألفية الثالثة، وطبعاً حتى الآن لا زالت هناك العديد من الأفلام الثورية تتجز حول الأبطال الذين تركوا بصماتهم في النضال الجزائري ضد المستعمر الفرنسي، منها: فيلم(مصطفى بن بولعيد)2008 لأحمد راشدي، وفيلم(العقيد لطفى)2015 للمخرج أحمد راشدي، وفيلم (العربي بن مهدي)2024 للمخرج بشير درايس، ويبقى حلم إنجاز فيلم عن "الأمير عبد القادر" أبرز وأعظم نتاج سينمائي يعكس ذاكرة الجزائر ونضالها وتاريخها المجيد، ينتظره الجميع على شاشات السينما الجزائرية والعربية وحتى العالمية.

إن معظم الأفلام السينمائية التي أنتجت عن الذاكرة الوطنية المرتبطة أساساً بالثورة الجزائرية، كان هدفها كتابة تاريخ الجزائر وتقديمه للأجيال الحالية والقادمة عبر السينما من أجل تعزيز الافتخار بهذه الذاكرة ورموزها وأبطالها الذين ضحوا من أجل استقلال الجزائر، ومن أجل أن تعيش الأجيال الحالية والقادمة في كنف الحرية والاستقلال والديمقراطية. وأيضاً بغية تعليم هذه الأجيال رموز النضال الجزائري على شاكلة: الأمير عبد القادر، مصطفى بن بولعيد، العقيد لطفي، سي الحواس، العقيد عميروش، جميلة بوحيرد، حسيبة بن بوعلي، لا لا فاطمة نسومر، الشيخ بوبغلة، الشيخ بوعمامة، محمد بوضياف، رابح بباط، كريم بلقاسم، يوسف بن خدة، حسين آيت أحمد.... وغيرهم من الشخصيات الوطنية.

نماذج سينمائية عن الثورة التحريرية: شكّلت الثورة التحريرية مصدراً رئيساً لدى العديد من السينمائيين الجزائريين والأوروبيين، حيث عادوا إلى هذا المصدر الفني والإبداعي باعتباره مصدر إلهام وإبداع لهم، يحتوي على مضامين عديدة يمكن تجسيدها سينمائياً. من هذه التجارب الإبداعية نذكر منها: فيلم (معركة الجزائر) 1966 للمخرج الإيطالي "جيلو بونتيكورفو" G.Pontecorvo، فيلم (دورية نحو الشرق) لعمار العسكري، فيلم (الأفيون والعصا) لأحمد راشدي، فيلم (ريح الجنوب) لمحمد سليم رياض، فيلم (مصطفى بن بولعيد) لأحمد راشدي.... وغيرها من الأفلام السينمائية الثورية.

1.2. **فيلم "مصطفى بن بولعيد":** لقد استطاعت السينما الجزائرية من خلال اعتمادها على الذاكرة أن تنقل التاريخ الجزائري وتعيد تمثله سينمائياً مع التركيز على إبراز الخصائص والسمات التي تحلّى بها هذا التاريخ من خلال مواقف ونضالات الشعب الجزائري. وهذا لا يعني نقل التاريخ كما هو، وإنما المزوجة بين ما هو تاريخي وما هو تخييلي، خاصة على مستوى الفضاءات، والأزمنة التي تمّ اختيارها في الأفلام. وكذلك تخيل أحداث ومواقف مرتبطة بقصص المعارك التي يتمّ تخيلها من قبل السينمائيين. ولكن تبقى الذاكرة هي الأساس الذي يستند إليه السينمائي من أجل قول الحقيقة عن الثورة ورجالها، وإشادة بهم وببطولاتهم ومواقفهم النضالية. أي إعادة كتابة التاريخ الجزائري بصدق وموضوعية عبر "كتابة مشهدية" (أي إعداد سيناريو الفيلم)، تنقل المادة النصية إلى الكاميرا، معتمدة على الصورة والصوت. يقول الناقد المغربي الحبيب الدايم ربي: "الذاكرة ليست شأنًا مقصوراً على الماضي وإنما قد تكون كذلك أفقاً مفتوحاً على المستقبل...". (الدايم ربي، ح، 2018: ص 25).

وفي السياق ذاته يضيف المخرج "بشير درايس" في حوار صحفي لجريدة الخبر الجزائرية على هامش مهرجان "إمداغاسن" السينمائي الدولي: "الفيلم (يقصد "العربي بن مهدي" الذي أنجزه ولقي بعض الانتقادات) جاء برؤية جديدة تعتمد أكثر على الموضوعية في الطرح، لأننا لم نكن حاضرين في الثورة على عكس عدد من المخرجين الذين عايشوها، وهناك جيل جديد يتناول الثورة بنظرة سينمائية فيها الكثير من الجمالية، ولا يجب أن نهمل ذوق

المتفرج الذي تغير في عهد الأنترنت....نحن نتصور الثورة بطريقة سينمائية على عكس المخرجين الذين عاشوا الثورة وهو الاختلاف الذي حمل فيلم "العربي بن مهدي"، حيث حاولت أن أتكلم عن الجانب الإنساني لهؤلاء الشهداء وهؤلاء القادة بعيداً عن الحروب والمعارك...."(درايس، ب،2024).

هذه نظرة جديدة بالنسبة للسينما الجزائرية، وهي رؤية معاصرة من مخرج سينمائي ينتمي إلى جيل الاستقلال قدّم توجهاً جديداً للسينما الجزائرية في كيفية تعاملها مع الذاكرة، خاصة الثورة التحريرية وما ينبغي مراعاته حين يتم استلهاً أحداثها أو شخصياتها.

هذا ما تناوله المخرج الجزائري "أحمد راشدي" في فيلمه الموسوم ب: (مصطفى بن بولعيد) الذي أنتجه سنة 2008. "...وقف(الفيلم) على إحياء مرحلة من مراحل التاريخ في الجزائر، أو سعى سعياً جاداً إلى قراءة شخصية" مصطفى بن بولعيد" الشهيد من جديد. فلم يكد يخرج عن الدائرة الفلكية للتاريخ إلا ما ارتبط منها ببعض التصوير الجمالي من الوجهة الفنية، وتلك الخصائص على ورودها الخيالي، استوجبتها طبيعة العمل واحترافية الفن. فقد كانت شخصية البطل معروفة بتطلعها الشديد الى الحرية، وحبها العارم للاستقلال وجراتها وشجاعته...مما تعين من الناحية الإخراجية محاولة مجاراتها ومحاكاتها في منتج درامي راق..."(زويرة، ع،2016: ص172).

إنّ مجرد تناول شخصية ثورية من الشخصيات الجزائرية والكتابة عنها سينمائياً يعتبر إنجازاً هاماً في حد ذاته، لكونه يعيد الاعتبار لهذه الشخصيات، والإقرار بمكانتها المتميزة على المستوى المحلي(الجزائري)، وعلى المستوى العربي والعالمى أيضاً. وكذلك يسهم في التعريف بهذه الشخصيات الثورية التي صنعت مجدداً للجزائر. بعيداً عن آراء النقاد حول فيلم(مصطفى بن بولعيد) التي انتقدت الفيلم على مستوى الأحداث والمواقف. أعتبر هذا الفيلم من أحسن الأفلام السينمائية الجزائرية المرتبطة بالشخصيات الثورية التي أنجزت خلال الألفية الثالثة(سنة2008). أراد المخرج "أحمد راشدي" أن يجسّد شخصية(مصطفى بن بولعيد) من منطلق أنها شخصية مؤثرة في تاريخ الجزائر الثوري بالأساس. هذا الفيلم ينوس عبر عنصر الذاكرة إعادة إبراز قصة هذا البطل الشجاع. وأن يقوم بسرد مواقف هذه الشخصية الفذة، وإظهار مقاومتها النضالية ضد المستعمر الفرنسي حتى استشهاده سنة1956.

2.2. فيلم العقيد لطفى: مع بروز فيلم(العقيد لطفى) للمخرج "أحمد راشدي" الذي أنجزه سنة2015. يمكننا الإقرار بأن الثورة التحريرية لا زالت حقلًا خصباً بالنسبة للسينمائيين الجزائريين والعرب بشكل عام. وما يتم إنجازه حالياً من قبل العديد من السينمائيين لا خير دليل على صحة هذا الرأي. وهذا الأمر ينطبق كذلك على الأدب الجزائري بأجناسه المختلفة(الرواية والقصة والمسرحية). حيث برزت مجموعة من أعمال الأدبية منها:

رواية (شارع إبليس)، ورواية (الخلآن) لأمين الزاوي، ورواية (أنا وحاييم) للحبيب السائح،.... عادت الى فترة الثورة التحريرية للكتابة عنها بزوايا نظر جديدة معاصرة ومختلفة. حتى الروائي والأكاديمي أمين الزاوي قال بأن الثورة لم تعد مقدسة.

لقد حاول المخرج "أحمد راشدي" أن يعيد كتابة سيرة البطل (مصطفى بن بولعيد)، الذي أسهم هو الآخر في النضال حول استقلال الجزائر إلى جانب بعض الشخصيات الوطنية التي كانت لها مواقفها الخاصة بها، والمتمثلة في وجوب المشاركة في دحض الاستعمار الفرنسي. ومقاومته لإرغامه على الخروج من أرض الشهداء.

3/السينما الجزائرية وتخييل الواقع: بعد حديثنا عن ثنائية "السينما والذاكرة" باعتبارها ثنائية مركزية في الفن السينمائي الجزائري. وبيننا العلاقة الموجودة بينهما، وتطرقنا الى الحديث عن بعض النماذج السينمائية التي اتخذت الذاكرة جسراً ممتداً نحو الماضي لاستحضار أبرز الأحداث والشخصيات والمواقف التي تعددت منابعها/مصادرها عبر مسيرة الدولة الجزائرية ابتداء من زمن الثورة التحريرية إلى ما بعد الاستقلال..

بدأت مع مطلع الألفية الثالثة أسماء جديدة في السينما الجزائرية، متسلحة بالفكر والعلم والمعرفة وخصوصيات الإبداع السينمائي في الجزائر. تعمل وتجتهد لتنتج أفلاماً جديدةً تحاول الاتكاء على الواقع من أجل معالجة مختلف القضايا المرتبطة بأفراد المجتمع الجزائري. هذه الأسماء السينمائية نزعت نحو الواقع المحلي الجزائري قصد استلهاهم مجموعة من التيمات والموضوعات القابلة للتجسيد السينمائي بالاعتماد على عنصر التخييل، منها: "الحرقة والهجرة غير الشرعية والبطالة والتهميش والعنف ضد المرأة والمخدرات وغيرها من القضايا الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري..." (بومزبر، ل، 2023: ص208). حيث طغت هذه الموضوعات على أعمال السينمائيين الجزائريين الذين حاولوا معالجة هذه الموضوعات بجدية وموضوعية. ومن بين أهم الأفلام التي اتخذت التخييل أسلوباً لتقديم الواقع بمظاهره وظواهره المختلفة، نذكر منها:

1- فيلم (عائلة كي الناس) 1990.

2- فيلم (امراتان) 1991 للمخرج عمر تريباش.

3- فيلم (باب الواد سيتي) 1994 للمخرج مرزاق علواش.

4- فيلم (حراقة) 2009 للمخرج مرزاق علواش.

5- فيلم (بركات) 2010 للمخرجة جميلة صحراوي.

6- فيلم (الخارجون عن القانون) 2010 للمخرج رشيد بوشارب.

هذه الأفلام وغيرها، تناولت قضايا اجتماعية واقعية، لكن أسلوب تجسيدها سينمائياً استوجب النزوع نحو عنصر التخييل في بناء القصة وأحدث وشخصيات الفيلم وفضاءاته المتعددة.

1.3. فيلم (بركات) لجميلة صحراوي: أنتج هذا الفيلم سنة 2010. تناولت فيه المخرجة السينمائية "جميلة صحراوي" واقع سنوات الأزمة السياسية في الجزائر (أي فترة التسعينيات)، زمن العنف الدموي، وهمجية الإرهاب، حيث قامت بتخييل قصة طبية يتم اختطاف زوجها وتسعى للعثور عليه وتساعدنا مناضلة في أحد الأحزاب التاريخية... (بليّة، ب أ، ص 119). رغم أن الفيلم لقي نقداً شديداً، نظراً لسلبية الشخصيات حسب بعض النقاد الذين شاهدوا الفيلم وتابعوا أطواره. إلا أننا نعتبر هذه المحاولة الإبداعية للمخرجة "جميلة صحراوي" موفقة باعتبارها أسهمت بهذا الفيلم في معالجة موضوع الاختطاف، وظاهرة العنف الهتمي خلال سنوات التسعينيات، وحاولت أن تبدي رأيها عبر فيلمها (بركات)، وهي دلالة واضحة لا تحتاج إلى تعليق لأن كلمة "بركات" تُستعمل حتى في لهجتنا المحلية العامية بمعنى "كفّاناً" من هذا الوضع المأساوي الذي لازم الجزائر لعشرية كاملة.

أنتج فيلم (بركات) سنة 2010، لكن زمن قصته أو أحداثه تعود إلى فترة التسعينيات. فمن جهة نعتبر الفيلم اعتمد على الذاكرة لاستحضار سنوات الأزمة والرعب الذي عرفته الجزائر من خلال ذاكرة المخرجة "جميلة صحراوي"، ومن جهة أخرى نجدها عمدت إلى تخييل قصة اختطاف زوج الطبيبة من أجل التعبير عما جرى خلال هذه الفترة الزمنية المأساوية. بغية إعادة تمثيل الظروف المؤلمة التي عايشتها الجزائر.

2.3. فيلم (حراقة) للمخرج مرزاق علواش: انطلاقاً من العنوان نتعرف على طبيعة الفيلم، فكلمة "حراقة" تحيل مباشرة إلى مصطلح "الحرق"، أي الهجرة غير الشرعية نحو الضفة الأخرى (أوروبا). وهذه الظاهرة هي طبعاً ظاهرة/وقضية اجتماعية تمس عدة بلدان ومجتمعات عربية وإفريقية وبعض بلدان أمريكا اللاتينية. وهي ظاهرة سلبية سواء للبلدان الأصلية لهؤلاء الحراقة باعتبارها تقوم على مبدأ المغامرة عبر البحر من خلال ركوب قوارب الموت. وأيضاً تسهم في نزيف المورد البشري. وهي سلبية كذلك للبلدان الأوروبية باعتبارها هي المستقبل لهؤلاء الحراقة من مختلف البلدان العربية والإفريقية. مما يشكل ضغطاً عليها من عدة جوانب، اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً.

هذه النظرة الواصفة لسلبيات "الحرق" جعلت المخرج "مرزاق علواش" ينجز فيلماً اجتماعياً يعالج فيه ظاهرة "الحرق"، مستعملاً كلمة "حراقة" عنواناً لفيلمه. معتمداً على عنصر التخييل في إنجاز هذا الفيلم. "مظهراً وجهاً إنسانياً للشباب الحراقة، وساعياً إلى إبراز الوجه الحقيقي لظاهرة يستعذبها الشباب لأنها تمثل حلاً لحياة عقيمة في بلادهم ويستكرونها المسؤولون السياسيون ويعتبرونها ظاهرة سلبية يجب القضاء عليها" (بليّة، ب أ، 2011: ص 123-124).

"حراقة" هو فيلم روائي من إنتاج مشترك جزائري/فرنسي، تروي أحداث قصة مجموعة من الشباب الذين يجمعهم حلم الهجرة إلى أوروبا مدفوعين بعدد من الأوضاع المزرية، على رأسها البطالة وانعدام الحريات والأوضاع

السياسية في البلاد والفساد والتهميش وغيرها من الدوافع الأخرى، وفي البحر وعلى زورق الموت تحدث مناقشات بين بعض الشباب تؤدي إلى موتهم غرقاً، في حين يتعطل القارب فيقرر أحد الشباب مع الشابة الوحيدة في الرحلة مغامرة أخرى بإكمال الرحلة سباحة فيما يبقى البقية في الزورق ينتظرون إنقاذهم، أما إيمان (الشابة) وناصر اللذان قررا المواصلة سباحة، فيتم اعتقالهما من طرف حراس السواحل الإسبان بمجرد وصولهم الى الشاطئ" (رحموني، ل، 2016، ص: 163).

من خلال وصف مضمون قصة فيلم (حراقة)، نستطيع التأكيد على أن هذه القصة بتفاصيل شخصياتها وفضاء البحر والساحل الإسباني والشابة (إيمان) وناصر، كل هذه الأحداث والشخصيات هي من تخييل المخرج، أي أنها غير حقيقية، لم تقع في الواقع، وهذا ما نسميه بتخييل الواقع. الذي يتكئ على مراعاة الجانب الفني والجمالي في عملية التخييل.

خاتمة:

بعد هذه السفيرة الممتعة في موضوع "السينما الجزائرية والذاكرة: من كتابة التاريخ الى تخييل الواقع"، ومحاولتنا مقارنة ثنائية السينما/الذاكرة من أجل التطرق الى موضوع كتابة التاريخ أي نقل التاريخ عبر الذاكرة نحو السينما الى الاعتماد على تخييل الواقع بدلاً من نقله كما هو. ومن خلال اعتمادنا على أفلام سينمائية جزائرية متنوعة سواء التي اعتمدت على الثورة التحريرية بوصفها تاريخاً، أو بالنسبة للأفلام التي جنحت نحو التخييل. نستطيع أن نذكر بعض النتائج المتوصل إليها:

1- حققت السينما الجزائرية منذ تاريخ تأسيسها تراكماً سينمائياً كبيراً، مختلفاً من ناحية نوعية الأفلام التي أنجزت. ومن ناحية الأساليب والطرق الإخراجية المختلفة والمتعددة التي تمّ توظيفها من طرف المخرجين السينمائيين.

2- استطاعت السينما الجزائرية أن تحقق مكانة تليق بها على المستوى العالمي والعربي، خاصة بعد حصول المخرج السينمائي (محمد لخضر حامين) على جائزة "السعفة الذهبية" في مهرجان "كان" السينمائي بفرنسا سنة 1975 عن فيلمه (وقائع سنوات الجمر).

3- تعددت الرؤى وزوايا المعالجة من قبل المخرجين الجزائريين، بالنسبة لإعادة كتابة تاريخ الثورة التحريرية. وكذلك بالنسبة للأحداث الكبرى، حيث تمّ توظيف الذاكرة باعتبارها تعد جسراً بين المخرج السينمائي وبين الفترات الزمنية للمواقف والأحداث الكبرى التي وقع الاختيار علي معالجتها سينمائياً.

4- لقد وُفقَ العديد من المخرجين السينمائيين الجزائريين في إنجاز أفلام متعددة، ومتنوعة، تعتمد أساساً على التخييل بوصفه "كوناً مصطنعاً" مثلما عبّر عنه الناقد الفرنسي (رولان بارت). بغية إبداء آرائهم حول ما عرفته الجزائر عبر فترات زمنية مختلفة، خاصة فترة التسعينيات.

5/ شكّلت السينما الجزائرية رافداً أساسياً من روافد السينما العربية التي تمكنت من الاستفادة منها ومن التراكم الإبداعي السينمائي، خاصة الأفلام الثورية. باعتبار السينما الجزائرية "ولدت في قلب الإعصار في قلب معركة التحرير" مثلما وصفها الناقد السوري "جان الكسان" في كتابه الموسوم ب: (السينما في الوطن العربي).

أخيراً نستطيع القول إن السينما الجزائرية لا زالت في حاجة ماسة الى الكثير من العناية والاهتمام بها، وتوفير لها كل الامكانيات التي تحتاجها لتطوير أساليبها وتقنياتها ومضامينها. وكذلك في حاجة الى جهود النقاد الذين يسهمون عبر آرائهم النقدية بالتطرق الى دراسة وتحليل الأفلام المنجزة باستمرار، وتناولها بطرق فنية وبموضوعية وحيادية. بعيداً عن الأحكام المسبقة.

الهوامش:

1. سعيد جبار (2013): التخييل وبناء الأنساق الدلالية (مقاربة تداولية)، منشورات دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، ص 72.
2. بن مالك، سيدي محمد (2013): جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، منشورات دار ميم للنشر والتوزيع (الجزائر)، ص 09.
3. الكسان، جان (1982): السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص 216.
4. وزناحي، مراد (2016): الثورة التحريرية في السينما الجزائرية... الدلالة والتأثير، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، العدد 03، ص 116.
5. الدايم ربي، حبيب (2018): الكتابة والذاكرة: الاستشراق في المتخيّل السردى أو الذاكرة المقلّوبة، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: (الكتابة والذاكرة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان (تونس) ط 01، ص 25.
6. درايس، بشير (2024): حوار صحفي لجريدة الخبر.
7. زوية، عياد (2016): السياسي والفني في أفلام الثورة الجزائرية، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، العدد 03، ص 172.
8. بومزير، ليندة/قدواح، منال (2023): القضايا الاجتماعية في السينما الجزائرية - قراءة في فيلمي حراقة-ومدام كوراج، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، المجلد 10، العدد 01، ص 208.
9. بلية، بغداد أحمد (2011): فضاءات السينما الجزائرية (نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر)، منشورات ليجوند، ص 119.
10. رحومي، لبنى (2016): واقع السينما الجزائرية بعد الاستقلال (قراءة في تحولات المضمون والممارسة)، منشورات مجلة دراسات وأبحاث، تصدر عن جامعة الجلفة، العدد 22، ص 163.

1. بن مالك، سيدي محمد(2013):جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، منشورات دار ميم للنشر والتوزيع(الجزائر).
2. بلية، بغداد أحمد(2011):فضاءات السينما الجزائرية(نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر)، منشورات ليجوند.
3. بومزير، ليندة/قدواح، منال(2023):القضايا الاجتماعية في السينما الجزائرية -قراءة في فيلمي حراقة-ومدام كوراج)، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، المجلد10، العدد01.
4. الدايم ربي، حبيب(2018): الكتابة والذاكرة: الاستشراق في المتخييل السردى أو الذاكرة المقلّوبة، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان:(الكتابة والذاكرة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان(تونس)ط01.
5. وزناحي، مراد(2016):الثورة التحريرية في السينما الجزائرية...الدلالة والتأثير، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، العدد03.
6. زوية، عياد(2016):السياسي والفني في أفلام الثورة الجزائرية، منشورات مجلة آفاق سينمائية، تصدر عن مختبر فهرس الأفلام الثورية في السينما الجزائرية، جامعة وهران 01، العدد03.
7. الكسان، جان(1982):السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
8. رحموني، لبنى(2016):واقع السينما الجزائرية بعد الاستقلال(قراءة في تحولات المضمون والممارسة)، منشورات مجلة دراسات وأبحاث، تصدر عن جامعة الجلفة(الجزائر)، العدد22،
9. سعيد جبار(2013):التخييل وبناء الأنساق الدلالية(مقاربة تداولية)، منشورات دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة(مصر).